

## خبز للجوع

### خريستو المر

مع حبيينا، على أنهار غزّة الحمراء هناك جلسنا. هناك صرخنا. هناك بكينا حين تذكّرنا أنفسنا. على الصفصاف وسط المدن العتيقة هناك علّقنا أعودنا. لشهور طويلة علّقنا أعودنا، وهتفنا للحياة وسط الموت هتافاً جريحاً. هناك سألنا الذين يقتلوننا والذين ينسوننا أغنية سلامٍ وحبٍّ، وسألنا معدّبونا ترنيمة جميلة للإنسان المسالم. «لا نرتّم لسلام فوق جبال ضحايا» قالت أعودنا المعلّقة على الصفصاف.

أرضنا لنا، وأرض الموت غريبة. فلتنسنا السماء إن نسينا الحبّ والإخوة الذين اضطهدهم الطغاة. كيف ننسى وهم وجه الحبيب السائل «لماذا تضطهديني؟». فليلتصق عظمي بلحمي إن لم أفضل المضطهدين على أعظم فرحي. هم فرحي إن فرحوا، وحزني إن حزنوا، وهم الحبيب الذي به رضيت، ذاك الذي يجذب القلب من الرضى وراءه كما يجذب الأيائل الماء الحيّ.

طوبى لمن يرفع العدل في وجه القائلين «اهدموا، اهدموا، سؤوا بالأرض» فهو يهزمهم هزيمة نهائية، عندها ينتصر الجسد الضعيف والروح القويّة، وربّما يضيع الطغاة لأيام ثلاث وإلى أنفسهم يعودون.

في يوم العدل ستنزل أعودنا عن الصفصاف لترقص في أيدينا، وسنحتفل مع ربّ الحياة بالحياة، ويحتفل كلّ محبّ بحبيبه، ويعود قلبي الولد إلى شاعر الكون.

كلّ وجه باب، وعلى الباب، أو بعده بقليل، القيامة. ولا يشغل المحبّ سوى أن يولد الضوء في هذا العالم لتتلاّ الأبوّاب بقناديل الحبّ، ولهذا يمّحي الفرق بين الربح والخسارة أمام عينيّ المحبّ.

أريد للقيامة أن تكون الخبز النازل من السماء، أريد أن نقتات النور في هذا المساء العميم. لهذا قلبي ما يزال الولد الراكض خلف أقدام السيّد مذراه ماشياً في دروب الفقراء يعلم ويعمل ويضع قلب الله أمام جوع القلوب إلى الضوء. وحين أضيّع الأفق لا يضيّعني فقد رأيت يوم قال لي «هناك»، ودلّني إلى النجم الذي في القلب. والنجم موعدٌ يلد الفرح وحنانٌ يشتعل إذا انحدرت فراشات العيون فوق الخد.

غزّة! وأتذكّر يوم مدّ السيّد كلماته سلماً لبولس الصغير، كما يعني اسمه - ليصعد من موت الحقد: «لماذا تضطهديني؟». غزّة! وإذا الأساسات خلّعت، وإذا القلوب نُشرت، وإذا السماء فُتحت، وإذا الجحيم عُرقت في القلب، وإذا الجنة كُشفت في الوجه الآخر، فعلمت نفس القساة ما فعلت. ودار الصغير وضاع. ضاع عن الرؤية، تخلّعت أساسات عالم القساوة. القاسي يضطهد البشر ويسوع يسأل «لماذا تضطهديني».

ربّما قضى بولس أيّامه الثلاث بعدها في دوار، إذ لا بدّ للرؤية أن تتعب. قيل أنه أُصيب بالعمى حين أُصيب بالرؤية، وأقول أنه احتاج ثلاثة أيام كي يخرج من عمّة الحقد التي كوّرت، ويفتح عينيه على الشمس التي أشرقت.

قيل أنه رأى حين سكب «حنانيا» حنان كلماتٍ فوق ماءٍ فوق رأسه. كُتبت باختصار أن بولس عندها أبصر، وأمّا حكايا الذين يلامس حنان الأخوة قلوبهم فتُسكب عليهم الرؤية فلا تعرف ثناياها إلا السماء التي منذ البدء.

لا محبّ بلا حبيب. وحبيينا باب أو ضوء يشرق من وحل الوجوه.

غزّة! والحبيب وجهٌ دام. والحبيب مشرّد. والحبيب جائع. وعطشٌ يشرب ملوّث الماء.

لا أريد سوى أن تكون القيامةُ الخبزَ النازل من السماء، وأن  
نتقاسم النورَ في هذا الجوع العميم. فهل يجتاز الجسد  
جسر النهار؟ لا نعرف، ولكننا نعرف أن النهار يتسلل على  
جسر الجسد كلما فاح الحبُّ من ياسمين الأقدار.

غزّة! يا نائمة على كتف الله لا تياس، والجحيم حولك.

لقد غدا «جُنُونُ» بولس «الصغير» الذي صار رسالةً  
للذين في «الخارج» جنوني، مذ رأيت أن الوجوه الإنسانية  
هي الهوية الأصل خلف الهويّات المبتكرة، الجميلة منها  
والقبيحة.

إني رأيتُ، وبعد الرؤية لا يصحّ داخل وخارج بعدما  
محي وجه القائم من الموت حاجز الغربة والخوف والموت.